تَنْوِيرُ الْعُقُولِ
فِي شَرْحِ
حَدِيثِ النُّزُولِ

للشيخ محمود منصور
المعروف بـ "الداني"

فهرس الكتاب

مـقـدمــة..3

ذكر متون وروايات حديث النزول..................................5

مسالك العلماء فيما يتعلق بالنصوص المتشابهة 6

كلام ابن تيمية في حديث النزول.....................................18

قول العلماء في قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ ﴾.........22

الرد على من يتمسك بظواهر النصوص المتشابهة.........................28

ذكر نقول العلماء في شرح حديث النزول.................................43

خاتمة...60

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالق الأسباب والمسببات، والذي هدانا وأرشدنا للطريق والمنهج القويم، وأن جعلنا من أمة النبي ذي الفضل والنفع العميم، وصاحب الخلق العظيم، وجعل التوسل والاستشفاع به من القربات المهمات، ومن الأسباب لإجابة الدعوات، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، والوسيلة العظمى في وصول الخير الى كل موجود، معلم التوحيد والخلق الحميد، محمد بن عبد الله المصطفى البشير الأمين، صاحب الحوض المورود، وعلى ءاله الطيبين وأصحابه الغر الميامين، أصحاب النهج السديد.

اعلم رحمك الله ورزقني واياكم الرشد والسداد، أن حديث النزول ثابت صحيح، وهو من أحاديث الصفات، فلا يجوز أن يحمل على معنى الانتقال والزوال، والتحول والنزول من علو الى سفل، والصعود من سفل الى علو، فان ذلك محال على الله، ويستحيل على الواحد الماجد التبدل والتحول، ولا يجوز الاخذ بظاهر الحديث المتبادر الذي هو الهبوط والتدلي من فوق الى أسفل، بل للحديث معنى يليق بالله سبحانه وتعالى من معاني الكمال والاجلال.

وخالفت المجسمة والمشبهة فوصفوا الله بالانتقال والتحول والزوال، وزلت أقدامهم وضلوا وأضلوا فوصفوا الله بصفات الخلق، وكما قال ابن الجوزي وقد أخذوا بالظاهر في الاسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا

نحملها على توجيه اللغة مثل "**يد**" على نعمة وقدرة، و"**مجيء**" و"**إتيان**" على معنى بر ولطف، و"**ساق**" على شدة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين. انتهى من "**دفع شبه التشبيه**".

ذكر متون وروايات حديث النزول

ومن ذلك أخذهم بظاهر حديث النـــزول الصحيح الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم: وهذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه بـــاب الـــدعاء والصلاة من ءاخر الليل: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم قال: **[يَنـــزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقـــى ثـــلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ مـــن يـــسألني فأعطيـــه مـــن يستغفرني فأغفر لـــه؟]**. صحيح.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة **[يَنـــزلُ ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى الـــسماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر...]** الحديث، وفي لفظ **[ينـــزل الله إلـــى الـــسماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول]** وفي لفظ **[إذا مضى شـــطر الليـــل أو ثـــلثاه ينـــزل الله تبارك وتعالى إلى الســـمـــاء الدنيا...]** وفي لفظ **[ينـــزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر...]** وفي لفظ **[إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا..]** الحديث.

وأخرجه أبو داود في سننه بلفظ **[ينـــزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا..]** الحـــديث.

وعند الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **[ينـــــزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حـــين يـــمضي ثلث الليل...]** الحديث. قال أبـــو عيـــسى الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح وقد روي من أوجه كثيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه أنه قال **[ينـــزل الله عـــز وجـــل حـــين يبقى ثلث الليل الآخر]** وهو أصح الروايات.

وقد أخرجه عبد الرزاق الصنعاني بلفظ **[إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلـــث الـــــليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فنادى هل من مـــذنـــب يتوب؟ هل من مستغفر؟ هـــل من داع؟ هل من سائل؟ إلى الفجر.]**

مسالك العلماء فيما يتعلق بالنصوص المتشابهة

اعلم رحمك الله أن القاعدة المقررة أن خير ما يُفسِّر الواردَ الواردُ، كما نص على ذلك العلماء كالحافظ زين الدين العراقي والحافظ ابن حجر العسقلاني، قال العراقي في ألفيته:

وخيرُ ما فسَّرتَه بالواردِ كالدّخِّ بالدُّخان لابن صَائدِ

وهنا عندنا مذهبان: التفويض أو التأويل، ومذهب التفويض صرح به ابن حجر العسقلاني في مواضع وأول في مواضع كما في " **الفتح** "، والشمس الذهبي في "**السير**" وابن دقيق العيد وامام الحرمين في " **الرسالة النظامية** " ووالده والغزالي والكمال بن الهمام ومحمد مرتضى الزبيدي وشرّاح " **البخاري** " كالحافظ العيني والكرماني والقسطلاني وزكريا الانصاري، وشراح " **مسلم** " كالقرطبي والنووي والمازري والابي والسنوسي وعياض، مذهبهم مذهب التأويل أو التفويض وشراح الموطأ مثل عبد البر في " **التمهيد** " والباجي في " **المنتقى** " والقاضي أبي بكر بن العربي في " **القبس** " و" **عارضة الاحوذي** " والزرقاني وغيرهم، وكل من تقدم ذكرهم تأولوا أيضا.

وعامة السلف على التفويض، ومن السلف من تأول كما هو معلوم كما هو الغالب على مذاهب الخلف كابن عباس ومجاهد وقتادة والشافعي وأحمد والبخاري والترمذي وغيرهم. قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئا ونعلم أن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق إذا كانت أسانيد صحاح ولا نرد على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[1].

وقال حنبل وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال فهو سميع بصير بلا حدّ ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته ولا نتعدى القرءان والحديث

(1) سورة الشورى، الآية (11).

فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون...، إلى أن قال والتسليم فيه بغير صفة (أي من صفات خلقه وهيئتهم) ولا حد إلا ما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلما عالما غفورا عالم الغيب والشهادة علام الغيوب فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[1] كيف شاء المشيئة اليه، وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير لا نتعدى القرءان والحديث. كما قال ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" باختصار من صفحة (476).

قال الإمام الترمذي في سننه (4-692): والمذهب في هذا عند أهلم العلم من الائمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس، وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الاشياء ثم قالوا: تروى هذه الاحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويُؤمَنُ بها، ولا تُفسرُ ولا تتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه. انتهى.

وقد قال الذهبي، وقال الوليد بن مسلم: سألت الاوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الاحاديث التي فيها الصفات فكلهم قال لي: **أمروها كما جاءت بلا تفسير**. وقال: كان إسماعيل بن أبي خالد والثوري ومسعر يروون هذه الاحاديث لا يفسرون منها شيئا. ذكره في ترجمة مسعر بن كدام أحد الائمة. ومعنى " **ولا تفسر** " هو نفس معنى قول سفيان وغيره من العلماء **قرءاتها تفسيرها**، ومعنى قولهم، " **ولا تتوهم** " معناه يترك الظاهر ويصرف ظاهرها الذي يتبادر منه الوهم والخطور، وقال مالك " **ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع** "، وقال أحمد كما رواه الخلال " **نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى** ".

وقال الحاكم سمعت الاصم يقول سمعت الربيع سمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال: **إذا رويت حديثا صحيحا عن رسول الله**

(1) سورة الأعراف، الآية (54).

صلى الله عليه وءاله وسلم فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. ذكره الذهبي في كتاب " العلو " وابن القيم في "اجتماعه ".

وقال ابن خزيمة سمعت يونس يقول: قال الشافعي: **لا يقال لم ولا كيف.** وقال الحميدي – توفي 219–: أصول السنة عندنا فذكر أشياء ثم قال: وما نطق به القرءان والحديث مثل ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم** ﴾[1] ومثل قوله ﴿ **وَالسَّمواَتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾[2] وما أشبه هذا من القرءان والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره، ونقف على ما وقف عليه القرءان والسنة، قال الذهبي كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحميدي مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة حدث عنه البخاري والكبار.

وقد نقل العلماء عن السلف ومنهم سفيان أنه قال " **كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره إلا الله ورسوله** ". وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون في هذه الاية وأمثالها، "**اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه**". كما ذكره أهل التفسير في تفاسيرهم كالقرطبي وابن عطية وابي حيان والخازن وعامة المفسرين من أهل السنة، قال أبو حيان في " **البحر المحيط** " في ءاية الاستواء: والجمهور من السلف السفيانين ومالك والاوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم ، في أحاديث الصفات على إيمان بها وإمرارها على ما أراد من غير تعييت مراد، وقوم تأولو ذلك على عدة تأويلات، وقال سفيان الثوري: **فعل فعلا في العرش سماه استواء.** انتهى

قال ابن عبد البر في التمهيد: قال أبو داود وحدثنا الحسن بن محمد قال سمعت الهيثم بن خارجة قال حدثني الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت فقالوا " **أمروها كما**

---

(1) سورة المئدة، الآية (64).

(2) سورة الزمر، الآية (67).

جاءت بلا كيف "، وذكر عباس الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول شهدت زكريا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال يا أبا سفيان هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا (قلت وهذ الاثر موقوف على ابن عباس ولا يصح مرفوعا فتنبه رحمك الله كما قال الحاكم ووافقه الذهبي، قال ابن الجوزي في الدفع قلت ورواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس، ورفعه منهم شجاع بن مخلد فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط، ومعنى الحديث: أن الكرسي صغير بالاضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عنده سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، قال الضحاك: الكرسي الذي تجعل الملوك أرجلهم عليه، وقال أبو يعلى الحنبلي القدم قدم الذات، وهي التي يضعها في النار انتهى وكلام أبي يعلى تجسيم وكفر).

قال ابن كثير في تفسيره وقوله ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾[1]، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن إدريس عن مطرف بن طريف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ قال: علمه، وكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن إدريس وهشيم، كلاهما عن مطرف بن طريف به، قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير مثله، ثم قال ابن جرير: وقال آخرون الكرسي موضع القدمين، قال البيهقي: وروينا عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ** ﴾ قال: علمه، وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ قال: كرسيه علمه، ألا ترى إلى قوله ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية (255).

(2) سورة البقرة، الآية (255).

وأخرج الخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ قال "كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره". وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه والخطيب والبيهقي عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي موسى الأشعري قال: الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل. قلت أي السيوطي: هذا على سبيل الاستعارة – تعالى الله عن التشبيه – و يوضحه ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك في الآية قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم.) فقال كما في تمهيد ابن عبد البر: أدركت إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا.

وقال محي السنة البغوي في معالم التنزيل: والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها (أي الاية أو الحديث المتشابه أنه من عند الله وهو قد أول كما أول غيره كالاتيان والمجيء والساق والجنب وغير ذلك) ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة. قال الكلبي: هذا هو المكتوم الذي لا يفسر، وكان مكحول و الزهري و الاوزاعي و مالك و ابن المبارك و سفيان الثوري و الليث بن سعد وأحمد واسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: **أمروها كما جاءت بلا كيف،** قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله. انتهى.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره: ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾[1] فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزّ وجل من المجيء والإتيان

(1) سورة البقرة، الآية (210).

والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله، أو من رسول مرسل. فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا. انتهى.

وقال الذهبي في العلو عن محمد بن الحسن فقيه العراق: أن هذه الاحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها. قال الذهبي صح عن ابن عيينة قال سئل ربيعة كيف استوى ؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق. وقال في سير اعلام النبلاء (8-103) قال ابن القاسم: سألت مالكا عمن حدث بالحديث الذين قالوا **[إن الله خلق آدم على صورته]** والحديث الذي جاء **[إن الله يكشف عن ساقه] [وأنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد]** فأنكر مالك ذلك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث بها أحد، فقيل له إن ناسا من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هو؟ قيل ابن عجلان عن أبي الزناد، قال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالما. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملا لهؤلاء حتى مات "انتهى. وزاد الحافظ العقيلي على هذه الجملة في الضعفاء 2-25: " **وكان صاحب عمال يتبعهم** " يعني أبا الزناد من عمال بني أمية على المدينة وكان عاملا لهم، توفي أبو الزناد سنة (130 هـ). قلت ونقل ابن القاسم عن مالك هذا النهي، كما رواه ابن عبد البر في كتاب "**التمهيد**"، ونقله الفقيه ملا علي القاري في شرح " **الشفا** ".

وقد نقل الذهبي في "**السير**" (8-105) عن الإمام مالك أنه قال في أحاديث الصفات "أمرها كما جاءت بلا تفسير "وهذا وما تقدم هو التفويض، وهذا الذهبي قد نص على التفويض أيضا في "**السير**" قال فقولنا في ذلك وبابه: الاقرار، والامرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم. انتهى

قال الحافظ ابن حجر في "**الفتح**" (13-390) في مبحث الصفات أن فيها ثلاث مذاهب نقلا عن الإمام ابن المنير المالكي، قال "والثالث: إمرارها على ما جاءت مفوضا معناها إلى الله تعالى "انتهى المراد منه. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (13-383):

والصواب الامساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض إلى الله في جميعها والاكتفاء بالايمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه "انتهى المراد منه. وقال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأولها نظرنا فان كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيدا توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه "انتهى.

ومن هنا يعلم أن قول ابن تيمية في كتابه الموافقة بهامش منهاج سنته (1-118) ما نصه: "فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والالحاد " وقد ذم كلا المذهبين التاويل والتفويض الالباني في تعليقه على سنة ابن أبي عاصم.

واعلم أن المتبادر من الظاهر غير مراد قطعا، كما قال ابن حجر الحافظ في "**الفتح**" (13-432): فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزه عن الذي يقتضيه ظاهرها إما أن يُكَذِّب -بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال مشددة- نَقَلَتها وإما أن يؤولها "انتهى . وبذلك صرح القاضي عياض والامام النووي والكرماني والابي وغيرهم .

وقال المبتدع محمد عثيمين (ص 93) في شرح العقيدة الواسطية: وبهذا نعرف ضلال أو كذب من قالوا: إن طريقة السلف هي التفويض، هؤلاء ضلوا إن قالوا ذلك عن جهل بطريقة السلف،وكذبوا إن قالوا ذلك عن عمد، وعلى كل حال لاشك أن الذين يقولون إن مذهب أهل السنة هو التفويض، أنهم أخطؤوا، لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية. وليعلم أن القول بالتفويض – كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية (حرام أن يلقب بهذا اللقب) من شر أقوال أهل البدع والالحاد. ثم يقول صدق رحمه الله، إذا تاملته، وجدته تكذيبا للقرءان وتجهيلا للرسول واستطالة للفلاسفة. انتهى.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: نقلا عن القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبه فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم ان الظواهر الواردة

بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ** ﴾[1] ونحوه ليست على ظاهرها بل متاوله عند جميعهم أهـ وقال الحافظ محمد بن حبان (354 هـ) صاحب الصحيح المشهور بصحيح ابن حبان ما نصه : "الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى، ولا له أجل معدود فيفنى، ولا يحيط به جوامع المكان ولا يشتمل عليه تواتر الزمان". الثقات (1 /1).

قال الحافظ ابن حجر في "**فتح الباري**": قوله **[ينزل ربنا إلى السماء الدنيا]** استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك. وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة والعجب أنهم أولوا ما في القرءان من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عنادا، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم، ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من أنواع التحريف، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يَرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم.اهـ قلت بل يتعين التأويل في بعضها كما نص غير واحد منهم ابن الجوزي في المجالس وابن كثير في تفسيره وابن عطية في تفسيره

(1) سورة الملك، الآية (16).

وأبو حيان في البحر والرازي في تفسيره والقاضي عياض والنووي والابي في شرحهم على مسلم وغيرهم.

وقال العلامة العيني الحنفي في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ثم الكلام هنا على انواع الأول احتج به قوم على إثبات الجهة لله تعالى وقالوا هي جهة العلو وممن قال بذلك ابن قتيبة وابن عبد البر وحكى ايضا عن أبي محمد ابن زيد القيرواني وانكر ذلك جمهور العلماء لأن القول بالجهة يؤدي إلى تحيز واحاطة وقد تعالى الله عن ذلك إلى أن قال ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا وأولوا في بعض وفوضوا في بعض ونقل ذلك عن مالك، انظر بقية كلام العيني فإنه مفيد . وقال الكرماني في شرح البخاري: ينزل في بعضها يتنزل فإن قلت هو سبحانه وتعالى منزه عن الحركة والجهة والمكان قلت هو من المتشابهات فإما التفويض وإما التأويل بنزول ملك الرحمة.اهـ.

وقد نقل ابن القيم في اجتماع جيوشه في ترجمة أبي العباس بن سريج (ص 101) قال بعد كلام: وفي الآي المتشابهة في القرءان أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكيفها ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ولا نشير اليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح. انتهى المراد منه.

ونقله عنه في مختصر الصواعق (ص 445): وقال مالك ولهذا: امض الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الاثار، وبما جاء به الكتاب. انتهى المراد منه. وقد قال صلى الله عليه وسلم **[إنما نزل كتاب الله عز وجل يصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه إلى عالمه]**. رواه الإمام عبد الرزاق في مصنفه وأحمد في المسند وابن ماجه.

وقد ذكر الذهبي عن الحميدي (219 هـ) بعد كلام مثل قوله تعالى ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾[1] وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسر ونقف على ما وقف عليه القرءان والسنة. قال البغوي في معالم التنزيل: وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد واسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمروها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله.

قال ابن عبد البر المالكي في التمهيد: وأخبرنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن خالد قال سمعت ابن وضاح سألت يحيى بن معين عن التنزل فقال أقر به ولا تحد فيه بقول كل من لقيت من أهل السنة يصدق بحديث التنزل قال وقال لي ابن معين صدق به ولا تصفه وحدثنا أحمد بن سعيد بن بشر قال حدثنا ابن أبي دليم قال حدثنا ابن وضاح قال سألت يحيى بن معين عن التنزل فقال أقر به ولا تحد فيه.

وقد روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا فقال مالك يتنزل أمره وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه الله على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والإستجابة وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت والله أعلم ولذلك ما جاء فيه الترغيب في الدعاء وقد روى من حديث أبي ذر أنه قال يا رسول الله أي الليل أسمع قال جوف الليل الغابر يعني الآخر وهذا على معنى ما ذكرنا ويكون ذلك الوقت مندوبا فيه إلى الدعاء كما ندب إلى الدعاء ثم الزوال وعند النداء وعند نزول غيث السماء وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء والله أعلم.

---

(1) سورة الزمر، الآية (67).

وقال آخرون ينزل بذاته أخبرنا أحمد بن عبدالله أن أباه أخبره قال حدثنا أحمد بن خالد قال حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح بمصر قال سمعت نعيم بن حماد (قلت وهو وضاع كما بينت) يقول حديث النزول يرد على الجهمية قولهم قال وقال نعيم ينزل بذاته وهو على كرسيه قال أبو عمر ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانا وقد جلَّ الله وتعالى عن ذلك وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[1] انتهى، قلت يا ليته التزم بما صرح به وخطه بيده هنا، بل عاد وخالفه واضطرب، ونحكم بكلامه على كلامه.

وقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10-209) ما يرتفع به الإشكال عن عثمان بن أبي العاص الثقفي مرفوعا : قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه]**، الحديث، رواه الطبراني " **في الكبير** " وقال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح الا أن فيه علي بن زيد وقد وثق ولهذا الحديث طرق انتهى. وهو في مسند أحمد وعند البزار في " **كشف الاستار** ". وحديث: عثمان بن أبي العاص الذي فيه **[فينادي مناد هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيُفرج عنه]** الحديث وهذا صححه الالباني كما في " **صحيحته** "، ففيه التصريح أن النازل هو ملك من ملائكة الله سبحانه بأمره مبلغا عن الله تعالى.

وقد صح عند النسائي في " **السنن الكبرى** " (6-134) و" **عمل اليوم والليلة** " ما يُفسر ما جاء في مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مرفوعا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر**

---

(1) سورة الشورى، الآية (11).

الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر لـــه هل من سائل يعطى] الحديث، وتضعيف الالباني في " **ضـــعيفته** " لهـــذا الحـــديث مردود، وهو بعيد عن التحقيق، وقوله أي الالباني " إن حفص بن غياث " بن طلـــق بن معاوية (توفي 195هـــ) تغير حفظه قليلا بأخرة "، لا يفيده شيئا ومع ذلـــك فهـــو قول مردود وغير مسلم له لان رواية حفص عن الاعمش كما في اسناد هذا الحديث كانت في كتاب عند ابن حفص " واسمه عمر "، كما في ترجمة حفص عند المِـــزي في " **تهذيب الكمال** "، و" **تهذيب التهذيب** " للحافظ ابن حجر.

قال في تهذيب الكمال عن يحيى بن معين حفص ثقة، وقـــال أحمـــد بـــن عبـــد الله العجلي: ثقة مأمون فقيه وقال يعقوب بن شيبة: ثقة ثبت إذا حدث من كتابه ويتقـــى بعض حفظه، وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: بلغني عن علي ابن المديني، قال سمعت يحي بن سعيد يقول: أوثق أصحاب الاعمش حفص بن غياث فـــأنكرت ذلك، ثم قدمت الكوفة بأخرة، فأخرج إلي عمر بن حفص كتاب أبيه عـــن الاعمـــش فجعلت أترحم على يحي فقال لي تنظر في كتاب أبي وتترحم علـــى يحـــي ؟ قلـــت سمعته يقول حفص أوثق أصحاب الاعمش، ولم أعلم حتى رأيت كتابـــه قـــال أبـــو زرعة عن علي بن المديني كان يحي يقول حفص ثبت فقلت إنه يهم فقـــال كتابـــه صحيح قال يحي لم أرَ في الكوفة مثل هؤلاء الثلاثة حزام وحفص وابن أبي زائـــدة كان هؤلاء أصحاب حديث قال علي فلما أخرج حفص كتبه كان كما قال يحي وقال عباس الدوري حفص أثبت من عبد الواحد بن زياد، وقال النسائي وابـــن خـــراش حفص ثقة وقال عبد الرحمن بن مهدي لا يقدم بعد الكبار من أصحاب الاعمش غير حفص بن غياث، قال ابن عمار وكان عامة حديث الاعمش عند حفص بن غيـــاث على الخبر والسماع وفي تهذيب التهذيب ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن ســـعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث، من كتب عنه من كتابه فهو صالح. قال الذهبي قـــال يعقوب بن شيبة: ثبت اذا حدث من كتابه ويتقى بعض حفظه. قلت وبهـــذا ينكـــشف تدليس الالباني ومن قلده.

كلام ابن تيمية في حديث النزول

قال ابن تيمية في كتابه " **المنهاج** " ما نصه: ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نُقل مثل ذلك عن إسحق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته.اهـ

وقال في كتابه " **الموافقة** " ناقلا كلام الدارمي المجسم ما نصه: لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة.اهـ

وقال أيضا في كتابه " **شرح حديث النزول** " ما نصه: لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من ءاثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة.اهـ

وقال في كتابه " **شرح حديث النزول** " و" **الفتاوى** " أيضا ما نصه: والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه.اهـ

وقد مال إليه كما في شرح حديث النزول ونقل عن أحمد ما يدل على هذا القول. ثم قال في صفحة (61): " والنزول منا يكون بمعنيين: أحدهما: الانتقال من مكان إلى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار. والمعنى الاخر: إقبالك على الشيء بالإرادة والنية . انتهى.

ثم قال صفحة (62): " قلت : وتأويل المجيء والاتيان والنزول ونحو ذلك بمعنى القصد والارادة ونحو ذلك هو قول طائفة، وتأولوا ذلك في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[1] وجعل ابن الزاغوني وغيره ذلك هو إحدى الروايتين عن أحمد. والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها ولا

(1) سورة الأعراف، الآية (54).

أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره. انتهى.

قلت وبهذا يعلم أنه يقول بالمعنى الاخر المعروف في اللغة لكلمة النزول وهو ما يعنيه إذا تكلم بالنزول لله تعالى وهذا بالفعل ما ينسبه لله تعالى وهو الحركة والانتقال، كما بين ذلك خلال تقسيمه لمعنى النزول بمعنيين اثنين، فقد رفض التأويل الثاني واعتبره مبتدعا، ولم يبق إلا المعنى الاول والذي يقول هو به الذي هو الحركة والانتقال والتحول.

وقال ابن تيمية أيضا صفحة (65): " وكثير من أهل الحديث يتوقف عن أن يقول يخلو أو لا يخلو وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش، وكثير منهم يتوقف عن أن يقال يخلو أو لا يخلو لشكهم في ذلك، وأنهم لم يتبين لهم جواب أحد الامرين .انتهى .

قلت وكلا القولين للمشبهة والمجسمة لأن الله تعالى لا يوصف بالاستقرار فوق العرش كي يخلو من العرش أو لا يخلو وأنه سبحانه ليس فوق العرش بذاته حتى إذا نزل يخلو منه العرش أم لا يخلو كما تقول المشبهة، فقبل خلق العرش أين كان الله ؟ كان سبحانه ولا عرش ولا كرسي ولا مكان ولا زمان، وبعد خلق العرش لم يتغير عما كان وهذا جواب أجاب به أهل السنة نقلا وهو عقلا كذلك.

قال الامام أبو حنيفة في الفقه الابسط: " **قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى ؟ فقال : يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء** " انتهى. وقال أيضا " **ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا** " انتهى كما في الوصية.

ونقل الحافظ مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: عن سيدنا الامام الشافعي ما نصه " **إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الازلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته** " انتهى (2-24). وقال الامام أحمد لا يلحقه " أي الله " لا التغير ولا التبدل قبل خلقه العرش ولا بعده.

وقد صرح ابن تيمية في هذا الاصل العقائدي بأن السلف اختلفوا فيه على حسب زعمه ومدعاه وهو أنه سبحانه هل يخلو من العرش إذا نزل وهو عين الانتقال والنزول إلى أسفل لأن السماء دون العرش، وخلو العرش منه أو عدم خلو العرش منه مع تصريحه بأن الله فوق العرش بذاته وحقيقة والعياذ بالله تعالى، ففي الاول اعتبر من تأول النزول بمعنى القصد والتوجه والاكرام والانعام والقبول بعد أن نقل عن بعض الحنابلة هذا التأويل، والذين بينوا أنه إحدى الروايتين عن أحمد أن هذه التأويلات مبتدعة، ووافق من قال نزوله سبحانه حقيقي بذاته ولا يخلو منه العرش.

وقال ابن القيم المجسم كما في مختصر الصواعق، دار الحديث (447): اختلف أهل السنة في نزول الرب تبارك وتعالى على ثلاثة اقوال احدها: أنه ينزل بذاته ثم ذكر من ذكر ذلك وقال شيخنا وهذا قول طوائف من أهل الحديث والسنة والصوفية والمتكلمين، وقالت طائفة منهم لا ينزل بذاته وقالت فرقة نقول ينزل ولا نقول بذاته ولا بغير ذاته بل نطلق اللفظ كما اطلقه رسول الله ونسكت عما سكت عنه انتهى.

قال محمد صالح عثيمين المجسم في " **شرح العقيدة الواسطية** "، صفحة (84) عند قوله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾[1]: هل يحتاج أن نقول جاء بذاته؟ والى قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، هل يحتاج أن نقول ينزل بذاته؟ اننا لا نحتاج إلى ذلك، اللهم إلا في مجادلة من يدعي أنه جاء أمره، لرد تحريفه. ثم قال صفحة

(1) سورة الفجر، الآية (22)

(280): ماذا يقول المعطل في قوله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾[1] ونحوها الجواب يقول، المعنى جاء أمر ربك وأتى أمر ربك. انتهى.

قلت هذا الذي سماه تعطيلا وتحريفا قد ثبت عن أحمد بن حنبل والحسن وابن جرير والبيهقي والبغوي وابن الجوزي والعز ابن عبد السلام والإمام النووي والعيني وابن جماعة والمازري والقرطبي وأبي حيان وابن كثير وغيرهم . فيكون الإمام أحمد والحسن ومن تبعهما على قوله وقولهم معطلا محرفا.

وقال ابن قيم الجوزية في كتابه الصواعق صفحة (23): وقد حكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به، بعد أن قال وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وقال وهذا التاويل هو الذي صنف في تسويغه وابطاله من الجانبين فمن صنف في ابطال التاويل على رأي المتكلمين القاضي أبو يعلى والشيخ موفق الدين ابن قدامة وحكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به. انتهى

(1) سورة الفجر، الآية (22)

قول العلماء في قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ ﴾

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ** ﴾[1] فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزّ وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله، أو من رسول مرسل. فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا. (قلت وهذا الذي مال اليه ابن جرير وهو مذهب التفويض، وبقوله يظهر بطلان قول ابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق صفحة (339) قال: وإن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك) وقال آخرون: إتيانه عز وجل نظير ما يعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع وانتقاله من مكان إلى مكان.(قلت وهو قول المجسمة والمشبهة أمثال القاضي أبي يعلى وابن تيمية وابن القيم).

وقال آخرون: معنى قوله ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ** ﴾ يعني به: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، (قلت وهذا مذهب من أول تأويلا تفصيليا وهو صحيح وهو مروي عن ابن عباس والضحاك ولم يعترض عليه لأنه قرر هذا التأويل هو أيضا في قوله تعالى فأتاهم الله الحشر، أي أمر الله، وهذا يرد قول ابن القيم بأن هذا المجاز مجاز الحذف باطل وتقديره وجاء أمر ربك، حيث اعتبره باطل)، وقال ابن القيم: "الرابع إن في السياق ما يبطل هذا التقدير وهو قوله ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ** ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وإن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة "، قلت يبطل قوله ويرده

---

(1) سورة البقرة، ألاية (210).

تأويل الإمام أحمد الذي رواه الإمام البيهقي بإسناد صحيح في مناقب أحمد وهو من أهل الحفظ أنه جاء ثوابه وقال وهذا إسناد لا غبار عليه، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (19-327) وأقره، وفي رواية أخرجها البيهقي في مناقب أحمد ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾[1] بمجيء قدرته.

قال البيهقي في " **مناقب أحمد** ": أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمر بن السماك قال: حدثنا حنبل بن اسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله – يعني أحمد- يقول احتجوا علي يومئذ – يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين – فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾ إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الاجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فانهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والاتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قرءاته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهارها إياها بمجيئه. انتهى،كلام البيهقي، ولا شك أن كلام أحمد صاعقة ناسفة على رؤوس هؤلاء.

وقول ابن قيم صفحة (340) من نفس الكتاب: إن هذا الذي ادعوا حذفه وإضماره يلزمهم فيه كما لزمهم فيما أنكروه فانهم إذا قدروا وجاؤ أمر ربك ويأتي أمره ويجيء أمره وينزل أمره، فأمره هو كلامه وهو حقيقة فكيف تجيء الصفة وتأتي وتنزل دون موصوفها الخ، الجواب ما أجاب به الإمام أحمد في بمجيء الثواب لا الصفة، ومجيء أثار القدرة لا القدرة، وكما قال ابن جرير في تفسيره والبغوي في معالم التنزيل ﴿ **فَأَتَاهُمُ الله** ﴾[2] أي أمر الله وعذابه، وقال البغوي في تفسيره: الذي

---

(1) سورة الفجر، الآية (22)

(2) سورة الحشر، الآية (2).

قال فيه هذا المضطرب المعجب برأيه الجريء المدلس ابن قيم الجوزية في اجتماع جيوشه صفحة (165) دار الكتب العلمية، "قال محي السنة الذي اجتمعت الامة على تلقي تفسيره بالقبول وقراءته على رؤوس الاشهاد من غير نكير"، فنقول له ولاتباعه التزموا بما نقلناه عن البغوي والذي لم يذكر في المجيء إلا قولا واحدا: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾، قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه ". وبه يندفع تلبيسه وتشغيبه.

قال ابن جرير في تفسيره: وقوله ﴿ **فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾[1] يقول تعالى ذكره: فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم، وذلك الأمر الذي أتاهم من الله حيث لم يحتسبوا، قذف في قلوبهم الرعب بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم في أصحابه، يقول جلّ ثناؤه: وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ. قال البغوي في معالم التنزيل: ﴿ **فَأَتَاهُمُ الله** ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿ **مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾، وهو أنه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، قال الشوكاني في تفسيره ﴿ **فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ أي أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره من تلك الجهة. وهو أنه سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك.

وقال ابن كثير في تفسيره: ولهذا قال تعالى ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ﴾[2]. قال القرطبي في تفسيره: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾[3] قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ** ﴾ معناه أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فماذا

---

(1) سورة الحشر، الآية (2).

(2) سورة النحل، الآية (26).

(3) سورة الانعام، الآية (158).

ينتظرون ﴿ **إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَـةُ** ﴾ أي عند الموت لقبض أرواحهم، ﴿ **أَوْ يَـأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾ قال ابن عباس والضحاك: أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره، وقد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف؛ كقوله تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[1] يعني أهل القرية، وقوله ﴿ **وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** ﴾[2] أي حب العجل، كذلك هنا يأتي أمر ربـك، أي عقوبة ربك وعذاب ربك، ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءايَاتِ رَبِّكَ** ﴾ قيل: هو طلوع الشمس من مغربها، بين بهذا أنهم يمهلون في الدنيا فإذا ظهرت الساعة فلا إمهال، وقيل: إتيان الله تعالى مجيئه لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَـفًّا** ﴾[3] وليس مجيئه تعالى حركة ولا انتقالا ولا زوالا؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجـائي جسما أو جوهرا. والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: يجـيء وينـزل ويأتي. ولا يكيفون؛ لأنه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[4]

قال التاج السبكي في " **جمع الجوامع** ": وما صح في الكتاب والسنة مـن الـصفات نعتقد ظاهر المعنى وننزهه عند سماع المُشكِل، ثم اختلف أئمتنا أنـؤول أم نفـوض منزهين، مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح.

قال أبو زرعة الحافظ في " **غيث الهامع** ": ثم إن كان ظاهر المعنى لا إشكال فيـه اعتقدناه كما ورد، وإن كان مشكل المعنى يوهم ظاهره الحدوث أو التغيـر، كقولـه تعالى: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾[5] وقوله عليه الصلاة والسلام: **[ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا]** فإنا ننزه الله تعالى عند سماعه عما لا يليق به، ولأئمتنا فيه مـذهبان مشهوران: أحدهما: تفويض المراد منه إلى الله تعالى، والسكوت عن التأويـل مـع

---

(1) سورة يوسف، الآية (82).

(2) سورة البقرة، الآية (93).

(3) سورة الفجر، الآية (22).

(4) سورة الشورى، الآية (11).

(5) سورة الفجر، الآية (22)

الجزم بأن الظاهر المؤدية إلى الحدوث أو التشبيه غير مرادة وهو مذهب السلف.انتهى.

وروى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الإمام أحمد ابن حنبل أنه سمعه يقول: احتجوا علي يوم المناظرة فقالوا تجيئ يوم القيامة سورة البقرة الحديث، قال فقلت لهم: إنما هو الثواب. وكذلك أثبت التأويل عن الإمام أحمد الحافظ ابن الجوزي في كتابه مناقب أحمد وكتابه " **دفع شبه التشبيه** " وفي تفسيره " **زاد المسير** " عند قوله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾ أي جاء أمره.

وكذلك ذكر التأويل عن الإمام أحمد العلامة تقي الدين الحصني في " **دفع شبه من تشبه وتمرد** "، وفي كتاب " **الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل** " لمحمد بن محمد ابن أبي بكر السعدي الحنبلي المتوفى سنة (900هـ) صفحة (58) في بيان اعتقاده رضي الله عنه ما نصه: كان يذهب إلى مذهب السلف مع القول بالتنزيه ونفي التشبيه وربما أول في بعض المواضع.

قال حنبل ابن عم الإمام أحمد سمعت ابن عمي يقول احتجوا علي يوم المناظرة فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك؟ قال: فقلت لهم: وإنما هو الثواب قال الله جلَّ ذكره ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[1] وإنما تأتي قدرته، القرءان أمثال ومواعظ وأمر ونهي وكذا وكذا. انتهى، وقدمنا نقل البيهقي وابن كثير عن أحمد أيضا.

وفي " **طبقات الحنابلة** " لابي يعلى أن الإمام أحمد كان **يقول** " **والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل العرش ولا بعد خلق العرش** "، انتهى.

وقال أبو يعلى الفراء الحنبلي في كتابه " **إبطال التأويلات** " قال الإمام أحمد كلام الله لا يجيء ولا يتغير من حال إلى حال، وقال في رواية حنبل احتجوا علي يومئذ "**تجيء البقرة يوم القيامة** " "**وتجيء تبارك** " فقلت لهم هذا الثواب، قال فقد نص أحمد على المعنى الذي ذكرنا. انتهى.

---

(1) سورة الفجر، الآية (22).

ونقله عن القاضي أبي يعلى ابنُ القيم كما في " **مختصر الصواعق** " صـــفحة (448) دار الحديث القاهرة، قال: وذكر أحمد ايضا فيما خرجه في الحبس كلام الله لا يجيء ولا يتغير من حال إلى حال ووجه هذا ان النزول هو الزوال والانتقال، ولهذا قلنـــا في الاستواء إنه لا بمعنى المماسة والمباينة لان ذلك من صفات الحـــدث والانتقـــال وهذا من صفات الحدث، ثم ذكر ابن القيم كلامَ ابن حامد انه نزول انتقال فهو موافق لقول من يقول يخلو منه العرش والذي حمله على اثبات النزول حقيقة وان حقيقته لا تثبت إلا بالانتقال.

وقد نقل البيهقي في الاسماء والصفات عن حماد بن زيد أنه أول حديث النزول قال نزوله إقباله، وحماد توفي سنة (179هـــ)، قال فيه الحافظ ابن حجر: ثقة ثبت فقيـــه، وقال الذهبي: الإمام أحد الاعلام، وقال يحي بن معين: ما رأيت أحدا من الـــشيوخ أحفظ من حماد بن زيد. وقال الإمام ابن بطَّال: " **وقد تقرر أن الله ليس بجسم فـــلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه فقد كان ولا مكان وإنما أضاف المعارج إليـــه إضـــافة تشريف ومعنى الإرتفاع إليه اعتلاؤه مع تنزيهه عن المكان** " اهـــــ [13/صـــفحة (355)]، كما في الفتح.

الرد على من يتمسك بظواهر النصوص المتشابهة

وماذا يقولون هؤلاء المجسمة والمشبهة الذين يتمسكون بالظواهر بقول الله تعالى ﴿ **نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1] إلى قوله تعالى ﴿ **يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ** ﴾[2] هل يقولون ان الله عز وجل كان في تلك البقعة ؟، وفي قول الله تعالى ﴿ **أَقْبِلْ** ﴾، هل يقولون إقبال مسافة إلى مسافة بينه وبين الباري؟

وقال ابن جرير في تفسيره في سورة النمل: واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله ﴿ **مَن فِي النَّار** ﴾[3] فقال بعضهم: عني جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ﴿ **فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ** ﴾[4] يعني نفسه قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة.

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدي، قال: حدثنا أبو قُتَيبة، عن ورقاء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، في قول الله ﴿ **بُورِكَ مَن فِي النَّارِ** ﴾ قال: ناداه وهو في النار.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثنا موسى، عن محمد بن كعب، في قوله ﴿ **أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ** ﴾ نور الرحمن، والنور هو الله ﴿ **وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ اهـ.

---

(1) سورة القصص، الآية (30).

(2) سورة القصص، الآية (31).

(3) سورة النمل، الاية (8).

(4) سورة النمل، الاية (8).

وقال البغوي في معالم التنزيل: وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: "بورك من في النار"، يعني قدس من في النار، وهو الله، عنى به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها، قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد فَلَمّا أتاها نُودِيَ مِنْ شاطِىءِ الوَادِ الأيمَنِ قال: شِقّ الوادي عن يمين موسى عند الطور. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ** ﴾ قال: نودي من عند الشجرة ﴿ **أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾. وقوله ﴿ **يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ** ﴾[2] يقول تعالى ذكره: فنودي موسى: يا موسى أقبل إليّ ولا تخف من الذي تهرب منه ﴿ **إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ** ﴾ من أن يضرّك، إنما هو عصاك.

وقال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى ﴿ **أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه، تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه. اهـ.

فماذا يقولون المشبهة هل كان الله في الشجرة لما كلم موسى اخذا في ظاهر الخبر وانه ترك وأخلى العرش كما يزعمون بانه مستقر وجالس عليه، وهذا نص قراني ذكرناه، ظاهره المتبادر أن الله كان في تلك البقعة من شاطئ الوادي الايمن وأنه في الشجرة أو عند الشجرة، اليس ظاهر الاية التحديد والحصر من شاطئ الوادي

---

(1) سورة القصص، الآية (30).

(2) سورة القصص، الآية (31).

الايمن، وزيد على حسب الظاهر الحصر والتحديد من الشجرة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

قال القرطبي في تفسيره ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1]. قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا** ﴾ يعني الشجرة قدم ضميرها عليها ﴿ **نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي** ﴾ ﴿ **مِن** ﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة و ﴿ **مِنَ الشَّجَرَةِ** ﴾ بدل من قوله ﴿ **مِن شَاطِئِ الْوَادِي** ﴾ بدل الاشتمال، لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، وشاطئ الوادي وشطه جانبه، ﴿ **الأَيْمَنِ** ﴾ أي عن يمين موسى وقيل عن يمين الجبل ﴿ **فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ** ﴾ و ﴿ **مِنَ الشَّجَرَةِ** ﴾ أي من ناحية الشجرة.

وقال الذهبي في كتاب العلو: شريك عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس ﴿ **أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ** ﴾[2]، قال: الله عز وجل ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ قال: الملائكة. إسناده صالح، انتهى.

ثم قال النسفي: وقالوا في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾[3] اراد به ثبوت الوهيته في السماء لا ثبوت ذاته، كما يقال: فلان امير في بخارى وسمرقند، ويراد به ان امارته وسلطنته فيهما لا ذاته. وكذا قالوا في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ** ﴾[4] أي الوهيته فيهما لا ذاته.

وكذا قالوا في قوله تعالى ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** ﴾[5]: أي في السماء الوهيته، إلا انها اضمرت لدلالة ما سبق من الايات.

---

(1) سورة القصص، الآية (30).

(2) سورة النمل، ألاية (8).

(3) سورة الزخرف، الآية (84).

(4) سورة الأنعام، الآية (3).

(5) سورة الملك، الآية (16).

وقوله تعالى ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُم** ﴾[1] أي يعلم ذلك ولا يخفى عليه.

وقوله ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد** ﴾[2] أي بالسلطان والقدرة.

وقوله وفوق كل شيء، أي بالقهر، على ما قال ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه** ﴾[3].

وقالوا في تعلقهم بقوله تعالى ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب** ﴾[4]: إن الله تعالى جعل ديوان اعمال العباد في السماء، والحفظة من الملائكة فيها. فيكون ما رفع هناك كأنه رفع اليه لانه امر بذلك، كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي** ﴾[5] أي إلى الموضع الذي امرني ربي ان اذهب اليه. وكما قال عزوجل ﴿ **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِه** ﴾[6] والله اعلم.

وقد يستدل الجهوي أيضاً بقوله تعالى﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه** ﴾[7] وليس في ذلك دليل على ما توهموه الجهوية، قال العلامة أبو حيَّان في "**البحر المحيط**" (303/7): وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود لأن الصعود يكون في الأجرام، وإنما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شأنه، ومنه ترافعوا إلى المحاكم ورفع الأمر إليه، وليس هناك علو في الجهة اهـ.

---

(1) سورة المجادلة، الآية (7).

(2) سورة ق، الآية (16).

(3) سورة الأنعام، الآية (18).

(4) سورة فاطر، الآية (10).

(5) سورة الصافات، الآية (99).

(6) سورة النساء، الآية (100).

(7) سورة فاطر، الآية (10).

وقد يستدلون بقوله تعالى﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾[1] ومعنى الآية تعرج الملائكةإلى السماء الذي هو محلهم قال الحافظ البيهقي (وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء، ونحو ذلك من الآيات ولا دلالة في ذلك.

وقالوا في تعلقهم بقوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُون** ﴾[2] يعني الملائكة: إن المراد منه قرب المنزلة لا المكان، كما قال في موسى عليه السلام ﴿ **وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا** ﴾[3]، وقال ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَم** ﴾[4] أي هو الدين الحق الذي له منزلة عند الله من الاديان، والله الموفق.

وبعد، فإن كل لفظ اضيف إلى شيء يفهم منه ما يجوز على ذلك الشيء ولا يستحيل عليه، ولا يفهم منه ما يتسحيل عليه، إلا يرى ان الرجل إذا قال: أتاني زيد، فهم منه الانتقال من مكان إلى مكان، لان زيدا جسم ويجوز عليه ذلك. واذا قال: اتاني خبر فلان لا يفهم منه الانتقال من مكان إلى مكان لان ذلك مما يستحيل على الخبر، ففهم منه الظهور.

واذا ثبت هذا فلا يجوز ان يفهم مما اضيف من الالفاظ إلى الله تعالى ما يستحيل عليه، ويجب صرفه إلى ما لا يستحيل عليه، أو تفويض المراد اليه، والايمان بظاهر التنزيل مع صيانة العقيدة عما يوجب شيئا من امارات الحدث فيه، والله الموفق.

قال الإمام اللغوي الراغب في " **المفردات** " صفحة (349) " **عند** ": لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل في المكان وتارة في الاعتقاد نحو أن يقال عندي كذا، وتارة في الزلفة والمنزلة وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ **بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾[5] وقوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُون** ﴾[6] وقوله ﴿ **فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ**

---

(1) سورة المعارج الآية (4).

(2) سورة الأعراف، الآية (206).

(3) سورة الحزاب، الآية (69).

(4) سورة ءال عمران، الآية (19).

(5) سورة ءال عمران، الآية (169).

(6) سورة الأعراف، الآية (206).

وَالنَّهَارِ ﴾[1] وقال تعالى حكاية عن امرأة فرعون ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾[2] وعلى هذا قيل: الملائكة المقربون عند الله قال تعالى ﴿ **وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾[4] وقوله ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾[5].

وقال العلامة أبو حيان في " **البحر المحيط** " في تفسير ﴿ **فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ فإن الملائكة الذين هم عند الله بالمكانة والرتبة الشريفة ينزهونه عما لا يليق بكبريائه.

وماذا يقولون في حديث البخاري **[اذا كان احدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه إذا صلى]** وفي رواية إخرى للبخاري **[إن احدكم إذا قام في صلاته فانه يناجي ربه أو ان ربه بينه وبين القبلة فلا يبصق احدكم قبل قبلته]** فهل يقولون ان الله بين العبد وبين القبلة بالمسافة والجهة على ظاهر الخبر أو ان الله أمام العبد بالمسافة قريب منه متمسكاً بالظاهر من هذا الحديث وغيره من الاحاديث التي يدل ظاهرها على اثبات الجهة والمكان لله تعالى. بماذا يجيبون هؤلاء المجسمة وماذا يصنعون بحديث مسلم **[أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد]** فهل يأخذون بهذه الظواهر فيثبتون بهذا الظاهر الجهة وقرب المسافة لله تعالى والمكان ام ياخذون بظواهر بعض الايات والاحاديث ويتركون البعض فما هذا التحكم؟

وماذا يفعلون بقوله تعالى ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾[6] وبقوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي** ﴾[7] مع إتفاق المفسرين انه كان ذاهب إلى بر الشام. وكذلك قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ** ﴾[8]

---

(1) سورة فصلت، الآية (38).
(2) سورة التحريم، الآية (11).
(3) سورة القصص، الآية (60).
(4) سورة الزخرف، الآية (85).
(5) سورة الرعد، الآية (43).
(6) سورة الحديد، الآية (4).
(7) سورة الصافات، الآية (99).
(8) سورة الأنعام، الآية (3).

وقوله تعالى ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾[1] وقوله ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَه** ﴾[2] وقوله تعالى في الظل ﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ﴾[3] وقوله ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُون** ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ** ﴾[5] وفي حديث البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم **[الذي تدعونه اقرب إلى احدكم من عنق راحلة احدكم]** وكما روي عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وهو حديث ضعيف **[والله لو دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله]** وقوله تعالى إخباراً عن آسية ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾[6] وقوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم **[اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل]** وبقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾[7] وحديث **[اني لست كأحدكم اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني]** وهو في الصحيحين فبعض هذه الايات والاحاديث لو حمل على ظاهرها لكان فيه اثبات التحيز والجهة وشغل المكان في جهة العلو،في السموات وفي الجنة وفوق العرش، وفي بعضها اثبات المسافة بين العبد وربه في الأرض، وفي بعضها في كل الجهات، وكل ذلك باطل عقلاً وشرعاً وسبيل التوفيق في ذلك الرجوع إلى الايات المحكمة، وصريح العقل، إذ العقل شاهد الشرع ولا يأتي الشرع إلا بما يتوافق مع العقل، ولا يأتي الشرع بما يحيله العقل، والعقل قاض بان الله عز وجل لا يشبه شيئاً ولا مِثْلَ له وانه

---

(1) سورة طه، الآية (46).

(2) سورة النور، الآية (39).

(3) سورة الفرقان، الآية (46).

(4) سورة الواقعة، الآية (85).

(5) سورة البقرة، الآية (115).

(6) سورة التحريم، الآية (11).

(7) سورة السجدة، الآية (12).

منزه عن سمات الحدث وفي قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[1] كفاية لتنزيه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقين.

وما اجمل عبارة الحافظ ابن الجوزي فان علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فاذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس، فالمجسمة والمشبهة يقولون فوق العرش بذاته وفي السماء بذاته وبيننا وبين القبلة على الحقيقة وينزل على الحقيقة وهل يخلو منه العرش فيه قولان ومحيط بالعالم على الحقيقة وفي الجنة على الحقيقة نعوذ بالله من فساد المعتقد وقالوا ويضع قدمه ورجله في النار و ياتي هروله على الحقيقة وكيف توجه العبد فيقابل وجه الله على الحقيقة ولا يمتنع عليه ذلك. سبحان واهب العقول فاحذرهم ايها العاقل وحذر منهم.

وماذا يصنعون بهذه الاحاديث **[إن هذا الركن الاسود يمين الله في الأرض يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه]**، وهو موقوف على ابن عباس وروي مرفوع كما ذكره الخطيب وبنحوه عند الديلمي في " **الفردوس** " وعبد الرزاق وفي " **كنز العمال**" وهو ضعيف.

وبما تجيبون عن الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **[إن الله عزوجل يقول يا ابن ادم مرضت فلم تعدني]** الحديث وفي آخره **[لو عدته لوجدتني عند]** وقد مر ذكره معنا.

وبما تجيبون عن حديث أبي بن كعب قال **[لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن جل اسمه]** وهو حديث صحيح أخرجه النسائي في " **عمل اليوم والليلة** "، والبيهقي في " **الاسماء والصفات** " وقبلهما أحمد والترمذي والبخاري في " **الأدب المفرد** " وغيرهم، قال القاضي أبو يعلى: اعلم ان شيخنا أبا عبد الله ذكر هذا الحديث في كتابه، وامتنع أن يكون على ظاهره في أن الريح صفة ترجع إلى الذات، والامر على ماقاله، ويكون معناه أن الريح مما يفرج الله عز وجل بها عن المكروب

(1) سورة الشورى، الآية (11).

والمغموم فيكون معنى " **النفس** " معنى التنفيس وذلك معروف في قولهم نفَّستُ عن فلان، أي فرجت عنه. الى ءاخر ما قال.

ثم ماذا تجيبون عن حديث **[إني أجد نفس الرحمن من ها هنا]** أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي في " **الاسماء والصفات** "، وحديث أبي هريرة **[الايمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن]** رواه الإمام أحمد وذكره الهيثمي في " **المجمع** " وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة.

أخبرونا بما تجيبون؟ هل تأخذون بالظاهر، أم توافقون أهل السنة في مسلكيهما وطريقتيهما: التأويل والتفويض. مع أنه في بعض المواضع يتعين التأويل، قال القاضي أبو يعلى في ابطال التاويلات صفحة (225): وجدت رحمتي وفضلي وثوابي وكرامتي في عيادتك له، يبين صحة هذا ما حدثناه أبو القاسم باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم **[أنا عند ظن عبدي، وأنا معه، إن تقرب إلي ذراعا تقرب الله اليه باعا ومن جاء يمشي أقبل الله اليه بالخير يهرول]** فبين في هذا الحديث أن قربه من عبده بالثواب كذلك ها هنا، وعلى هذا يتأول قوله تعالى ﴿ **وَوَجَدَ اللهَ عِندَه** ﴾[1] معناه وجد عقابه وحسابه، انتهى.

وحديث أبي هريرة ذكره أبو يعلى مختصرا، وهو صحيح أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، قال الحافظ ابن حبان في صحيحه: ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات، كانت المغفرة منه أقرب بباع ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي، أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة، والله أعلى وأجل انتهى (2-91).

وقال القاضي ابويعلى وأما قوله "من قرب شبرا قربت منه ذراعا "فالمراد به التقريب من رحمته وكرامته لانه روي ذلك مفسرا في بعض ألفاظ الحديث، رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **[من جاء يمشي أقبل الله إليه بالخير**

---

(1) سورة النور، الآية (39).

يهرول] فقد ورد التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فلهذا قضينا بالمطلق منه على المقيد. انتهى. وهو من أكثر المجسمة تشددا بالاخذ بالظاهر المتعارف منه، ومع ذلك لم يستطع دفع التأويل وسلكه في بعض المواضع كما بينته عنه.

وكذلك بينا ثبوت التأويل عن جمع من السلف الصالح ومنهم حبر الامة ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومجاهد والبخاري ومالك وأحمد والترمذي وسفيان كما أقر بذلك ابن تيمية وابن القيم، وبهذا يظهر بطلان ما ادعاه ابن القيم وغيره، واظهار تناقضهم وتخبطهم.

وقد روى الترمذي في جامعه الحديث المشهور **[أنا عند ظن عبدي بي وإن أتاني يمشي أتيته هرولة]**، ثم قال بعده: هذا حديث حسن صحيح، ويروى عن الاعمش في تفسير هذا الحديث **[من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا]** يعني بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا إنما معناه يقول إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وبما أمرت تسارع إليه مغفرتي ورحمتي. انتهى كلام الترمذي.

قلت وبهذا التاويل قال جمع من العلماء كالطيبي والعيني وابن بطال وابن التين والنووي والخطابي والعز بن عبد السلام والإمام البيهقي وغيرهم، والاعمش قبل البخاري ومسلم وأحمد من تلامذته سفيان بن عيينة وسفيان الثوري ومن شيوخه عطاء ابن أبي رباح وعكرمة، قال فيه الحافظ ابن حجر: حافظ ثقة ورع لكنه يدلس. قال يحي بن معين والعجلي والنسائي: ثقة ثبت. وحماد بن زيد أوَّلَ حديث النزول قال: نزوله إقباله، وحماد توفي سنة (179هـ) قال فيه الحافظ ابن حجر: ثقة ثبت فقيه. وقال الذهبي: الإمام أحد الاعلام. وقال يحي بن معين: ما رأيت أحدا من الشيوخ أحفظ من حماد بن زيد.

وقد قال الإمام الشافعي: في " **الرسالة** " خلال كلامه عن الفاظ القرءان: " **وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره** "، قلت والحافظ البيهقي ذكره في "**الاسماء والصفات**"، بعد ذكر حديث **[يا ابن ادم مرضت]**، كما سيأتي، يعني يراد باللفظ

المعنى المرجوح بدلالة السياق وما قد يكون فيه من القرائن ويطلق على هذا اللفظ في هذه الحالة مؤول أي يؤوول إلى كذا بمعنى رجع إلى كذا.

قال الحافظ البيهقي في " **الاسماء والصفات** " صفحة (286): بعد ذكره حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم **[قال يقول الله عزوجل، يا ابن ادم مرضت فلم تعدني فيقول يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟]** الحديث قال البيهقي، وفيه دليل على أن اللفظ قد يرد مطلقا والمراد به غير ما يدل عليه ظاهره، فانه اطلق المرض والاستسقاء والاستطعام على نفسه والمراد به ولي من أوليائه، وهو كما قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَه** ﴾[1]، وقوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَه** ﴾[2]، وقوله ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُم** ﴾[3] فالمراد بجميع ذلك أولياؤه، وقوله **[لوجدتني عند]** أي وجدت رحمتي وثوابي عنده، ومثله قوله عز وجل ﴿ **وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** ﴾[4] أي وجد حسابه وعقابه انتهى.

وقد ذكرت كلام العلماء كالنووي وابن عبد السلام والخطابي وغيرهم في كتابي إظهار المكنونات وتوسعت في هذه الابواب من كلام السلف والخلف. وفي الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **[لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر]** أخرجه أحمد ومسلم واخرجه البخاري بلفظ **[فان الله هو الدهر]**، ولفظ لمسلم **[فاني أنا الدهر]** واخرجه البخاري ومسلم عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **[قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار]** قال أبو يعلى الفراء المجسم في كتابه إبطال التاويلات، فقد بين ابراهيم الحربي ان الخبر ليس على ظاهره وانه ورد على سبب وقال وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله رحمه الله

---

(1) سورة المائدة، الآية (33).

(2) سورة الأحزاب، الآية (57).

(3) سورة محمّد، الآية (7).

(4) سورة النور، الآية (39).

هذا الحديث في كتابه وقال لا يجوز أن يسمى الله دهرا والامر على ما قاله لانه قد روي في بعض الفاظ هذا الحديث ما منع من حمله على ظاهره. انتهى وكتاب أبي يعلى هذا المتوفى سنة (458 هـ).

قال الحافظ ابن حجر عند قوله صلى الله عليه وسلم **[إن أحدكم إذا قام في صلاته فانه يناجي ربه أو ان ربه بينه وبين القبلة]** الحديث. فيه الرد على من أثبت انه على العرش بذاته.

وقال المحدث الزبيدي في " **الإتحاف** " (ج3/ص18): "وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أي من رحمته (ان يكون ساجداً أي حالة سجوده وهو معنى قوله عز وجل في اخر سورة العلق ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب** ﴾[1] اي دم على سجودك أي صلاتك واقترب من الله تعالى ". وهذا قول مجاهد اخرجه عبد الرزاق في مصنفه وسعيد بن منصور في سننه عنه قال: اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعونه يقول ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب** ﴾.

وقال الزبيدي عند حديث **[ان احدكم إذا قام في صلاته فانما يناجي ربه أو ربه بينه وبين قبلته فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه]** الحديث، رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي. قال: الثانية قوله **[أو أن ربه بينه وبين القبلة]** ظاهره محال لتنزيه الرب تعالى عن المكان فيجب على المصلي اكرام قبلته بما يكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه ومن اعظم الجفاء وسوء الأدب ان تتنخم في توجهك إلى رب الأرباب وقد اعلمنا الله باقباله على من توجه إليه.

وقال الكرماني في شرح البخاري (4/ص70): فإن قلت ما معنى كون الرب بينه وبين القبلة إذ لا يصح على ظاهره لأن الله تعالى منزّه عن الحلول في المكان تعالى عنه.

---

(1) سورة العلق، الآية (19).

قال الحافظ البيهقي في كتابه " **الاسماء والصفات** " (ج2/ص213): وقال أبو الحسن بن مهدي فيما كتب لي أبو نصر بن قتادة من كتابه معنى قوله صلى الله عليه وسلم **[ان الله قِبَلَ وجهه]** أي ان ثواب الله لهذا المصلي ينزل عليه من قبل وجهه ومثله قوله **[يجيء القرءان بين يدي صاحبه يوم القيامة]** أي يجيء ثواب قراءته القرءان.

وقال ابن كثير في تفسيره: وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ** ﴾[1] قال قبلة الله، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر انه كان يصلي حيث توجهت به راحلته. ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الاية ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ** ﴾ رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الاية اهـ بتصرف.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **[يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي وأنا معه حيث يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا اقتربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة]**، قال الحافظ ابن حجر في " **الفتح** ": والتقدير ان ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا، وان ذكرني جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الاعلى.

وقال الحافظ ايضا: قال ابن بطال وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب اليه ووصفه بالاتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز، فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الاجسام وذلك في حقه تعالى محال، فلما

---

(1) سورة البقرة، الآية (115).

استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب اليه شبرا وذراعا واتيانه ومشيه معناه التقرب اليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله، ويكون تقربه سبحانه من عبده واتيانه والمشي عبارة عن اثابته على طاعته وتقربه من رحمته ويكون قوله أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعا.

ونقل عن الطبري أنه إنما مثَّلَ القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن ادمن على طاعته، أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأنَّ الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى.

وقال ابن التين: القرب هنا نظير ما تقدم في قوله تعالى ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾[1]، فان المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة اليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الاجر اهـ.

وقال ابن الجوزي والتقرب والهرولة توسع في الكلام كقوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءايَاتِنَا** ﴾[2] ولا يراد به المشي.

وأما قولهم بأن الله يأتي بذاته وينزل بذاته فقد تقولوا على الله ورسوله، وزادوا من عند أنفسهم ما تتخيله نفوسهم السقيمة، ولم يقل الله تعالى ولا رسوله بأنه ينزل أو يأتي بذاته، بل هذا قول مصادم للشرع والعقل.

وقد تأول بعض السلف النزول والمجيئ، كما قال الحافظ البيهقي في "**مناقب أحمد**": أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول: احتجوا عليَّ يومئذ ــ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين ــ فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ ﴾[3] إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ. قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان

(1) سورة النجم، الآية (9).

(2) سورة الحج، آية (51).

(3) سورة الفجر، الآية (22)

كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه.اهـ

قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ** ﴾[1] أي والله، لأتاها أمر الله من أصلها ﴿ **فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ** ﴾ ﴿ **مِن فَوْقِهِمْ** ﴾ و ﴿ **السَّقْفُ** ﴾ أعالي البيوت، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم، ﴿ **وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ﴾.

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق صفحة (446): وقال الخلال: أخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال: سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى (أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، وأن الله يرى، وأن الله يضع قدمه) وما أشبه ذلك، فقال أبو عبد الله، نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئا، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح ولا نرد على الله قوله، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء. وهذا وكلام الشافعي من مشكاة واحدة. انتهى كلام ابن القيم، وذكره في "**اجتماع الجيوش**" له ايضا. قلت وقد خالف ابن القيم هذه القواعد ولم يلتزمها في كتبه "**كالصواعق**" و"**اجتماع الجيوش**" و"**البدائع**" وغيرهم .

(1) سورة النحل، الآية (26).

ذكر نقول العلماء في شرح حديث النزول

قال الحافظ النووي في شرحه على مسلم عند قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: **[ينـــزل ربنا...]** الحديث، هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلمـــاء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على مـــا يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تـــنـــزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعـــن الانـــتـــقـــال والحركـــات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنـــا عـــن مالـــك والأوزاعي أنها تـــتـــأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تـــأولوا هـــذا الـــحديـــث تأويلين:-

أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تـــنـــزل رحمته وأمره وملائكتـــه كمـــا يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله بأمره. والثاني: أنه على الاستـــعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. اهـــ

وبهذا التاويل تاول الحديث حماد بن زيد، فعليه الخبر مؤوّل بتأويلين أي المذكورين، وبكلام النووي وإمام الحرمين والغزالي والخطابي والبيهقي وابن الجوزي وغيـــرهم من الأئمـــة الأعلام يُعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظـــواهر كـــالمجيء والنـــزول والاستواء على العرش وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه مـــن محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفر معتقدها بالإجماع فاضـــطر ذلـــك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرف عـــن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤولـــه بشيء ءاخر وهـــو مذهـــب أكثر السلف، وفي هذا التأويل الإجمالي، أو مع تأويله بـــشيء ءاخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهذا التأول التفصيلي.

وليس مراد من أوّل تأويلا تفصيليا من الخلف مخالفة السلف الصالح وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم إلى التأويل التفصيلي لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلالة واستلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم كما قال الإمام المجمع على إمامته أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه ما نصه ممزوجا بشرح البياضي: **{ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما لم يدخلوا فيه لأن مثلهم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح ونحن قد ابتلينا بمن يطعن }** في الاعتقاديات **{ علينا }** من أهل البدع والأهواء **{ ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطئ منا }** أي من المتخالفين **{ ومن المصيب وأن لا نذب }** ونمنع المخالفين بإقامة الحجج عليهم وإبطال نحلهم **{ عن }** الاستطالة على **{ أنفسنا وحرمنا فقد ابتلينا بمن يقاتلنا }** من أهل الأهواء بإظهار الشبه والإغراء الذي هو القتال المعنوي **{ فلا بد لنا }** في دفعهم وإزالة شبههم **{ من }** إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي في معنى **{ السلاح }** فقد أشار إلى أن البحث فيه والمحاجة صارت من الفروض على الكفاية دون البدع المنهية.اهـ

وقال البيهقي في "**الأسماء والصفات**": أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: **أمروها كما جاءت بلا كيفية**.اهـ

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في " **العارضة** " في شرحه على الترمذي: واختلف الناس في هذا الحديث وأمثاله على ثلاثة أقوال فمنهم من رده لأنه خبر واحد، ورد بما لا يجوز ظاهره على الله وهم المبتدعة، ومنهم من قبله وأمرَّه كما جاء ولم يتأوّله ولا تكلم فيه مع اعتقاده أن الله ليس كمثله شئ، ومنهم من تأوله وفسره، وبه أقول لأنه معنى قريب عربي فصيح، أما إنه قد تعدى إليه قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير فتعدوا عليه بالقول بالتكثير قالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات قلنا هذا جهل عظيم وإنما قال

ينـــزل إلى السماء ولم يقل في هذا الحديث من أين ينـــزل ولا كيف ينـــــزل فأمـــا قوله ينـــزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينـــــزل بأمره ونهيه، والنـــزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني فإن حـــملته فـــي الحديث على الحسي فتلك صفة المَلَك المبعوث بذلك وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نـــزولا عن مرتبـــة إلـــى مرتبـــة فهـــي عربيـــة صحيحة.اهـــ

وقال البيهقي في " **السنن الكبرى** " ما نصه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النـــزول قد ثبت عـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة، وورد في التنـــزيل ما يصدقه وهو قولـــه تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[1] والـــنـــزول والمجيء صفتان منفيتـــان عن الله تعالى من طريق الحركة والانـــتـــقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جلَّ الله تعالى عما تـــقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا.

قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا ومـــا أشـــبهه مـــن الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النـــزول الذي هو تدلٍّ من أعلـــى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نـــزول مـــن لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هـــذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبـــر عن قدرتـــه ورأفـــته بعباده وعطفه عليهم واستـــجابته دعاءهم ومغفرتـــه لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ﴿ **لَـــيْسَ كَمِثْلِـــهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[2]. اهـــ

وقال أبو سليمان الخطابي: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عـــن ذلك علوا كبيرا. اهـــ وقال أيضا في شرحه على سنن أبي داود ردا على من وصف

---

(1) سورة الفجر، الآية (22).

(2) سورة الشورى، الآية (11).

الله بالحركة: والله سبحانه لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكِلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين والله عز وجل مُتعالٍ عنهما ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾.اهـ

قال البيهقي أيضا في "**الأسماء والصفات**": وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يُحْدِثُ اللهُ تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا لا بأن يتحرك أو ينتقل فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شئ وهذا كقوله عز وجل ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[1] ولم يُرد به إتيانا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرَّ عليهم السقف من فوقهم فسمى ذلك الفعل إتيانا، وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يُحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة تعالى الله عن صفات المخلوقين.اهـ

وقال الكرماني في شرح البخاري: ينزل في بعضها يتنزل فإن قلت هو سبحانه وتعالى منزه عن الحركة والجهة والمكان قلت هو من المتشابهات فإما التفويض وإما التأويل بنزول مَلَكِ الرحمة.اهـ

وهذا التأويل أخذه أهل السنة من رواية النسائي **[إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى]**. قال محمد السفاريني الحنبلي في كتاب "**لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية**" ما نصه: قال أهل التأويل إن العرب تنسب الفعل إلى من أَمَرَ به كما تنسبه إلى من فعله وباشره بنفسه، قالوا والمعنى هنا إن الله تعالى يأمر مَلَكاً بالنزول إلى السماء الدنيا فينادي بأمره.

---

(1) سورة النحل، الآية (26).

وقال بعضهم إن قوله: ينـــزل راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته المقدس فإن النـــزول كما يكون في الأجساد يكون في المعاني أو راجـــع إلى المَلَك الذي ينـــزل بأمره ونهيه تعالى، فإن حمل النـــزول في الأحاديث على الجسم فتلك صفة المـــلَك المبعـــوث بذلك. وإن حمل على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل سمى ذلـــك نـــزولا مـــن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل أن تأويله على وجهـــين إمـــا بـــأن المراد ينـــزل أمره أو المَلَك بأمره وإما أنه استـــعارة بمعنـــى التلطـــف بالـــداعين والإجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلعته إذا قارب المـــشتري بعـــدما باعده وأمكنه منها بعد منعه، والمعنى هنا أن القرب في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأنه تعالى يُقبِلُ عليهم بالتحنن والعطف في هذا الوقت بما يُلقيه في قلوبـــهم من التنبيه والتذكير الباعِثَين لهم على الطاعة.

وقد حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبط رواية البخاري بضم أوله على حـــذف المفعول أي يُنـــزل ملكا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **[إن الله عز وجـــل يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب لـــه هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى]** قال القرطبي صححه عبـــد الحـــق، قالوا: وهذا يرفع الإشكال ويُـــزيل كل احتمال، والسنة يُفسر بعضها بعـــضا وكـــذا الآيات، قالوا: ولا سبيل إلى حمله على صفات الذات المقدس فإن الـــحديـــث فيـــه التصريح بتجدد النـــزول واختصاصه ببعض الأوقات والساعات وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنـــزيهها عن التجدد والحدوث، قالوا: وكل ما لم يكـــن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبيـــل صـــفة الأفعـــال، قـــالوا: فالنـــزول والاستواء من صفات الأفعال.اهـــ

قال الإمام أبو بكر بن فورك شيخ البيهقي رحمهما الله في كتابـــه "**مـــشكل الحـــديث وبيانه**" ما نصه: وقد روى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي صلى الله عليـــه وسلم بما يؤيد هذا الباب وهو بضم الياء من " **يُنـــزل** " وذكر أنه ضـــبطه عمـــن

سمعه من الثقات الضابطين وإذا كان ذلك محفوظا مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر.اهـ

فهذه الرواية الصحيحة تفسر رواية **[ينزل ربنا..]** لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله ليبلغوا عنه عبَّرَ الرسول عن ذلك بوحي من الله بعبارة **[ينزل ربنا..]** ولذلك نظير في القرءان قال الله تعالى في حق ءادم وحواء ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين** ﴾[1] فيه دليل على صحة رواية النسائي **[إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول فيأمر مناديا...]** فكما أن الله تعالى نسب نداء المَلَك لآدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره فكذلك صح إسنادُ نزول المَلَك إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله **[هل من داع فيستجيبَ الله له وهل من سائل فيعطى وهل من مستغفر فيغفر له إلى الله].**

وفي الآية أيضا دليل على أن نداء المَلَكِ لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ رد اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول المَلَكِ: هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين** ﴾ كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر المَلَكَ بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيه إلى ءاخر ما ورد فيه وليس المعنى أن المَلَكَ يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه.

---

(1) سورة الأعراف، الآية (22).

ونظير هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءانَه** ﴾[1] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ فبهذا ينحل الإشكال الذي يخطر لبعض الناس والذي يورده ابن تيمية ومن نهج منهجه في التشبيه من وهابية وغيرهم.

وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين ابن جماعة في "**إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**": اعلم أن النزول الذي هو بانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:-

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام مُنتَقِلٍ ومُنتَقَلٍ عنه ومنتَقلٍ إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول بذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئا فشيئا فيلزم انتقاله إلى السماء الدنيا ليلا ونهارا من قوم إلى قوم وعَوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله بها إلى السماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه السماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين إما اتساع في السماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه ونحن نقطع بانتفاء الأمرين. إذا ثبت ذلك فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول مع قطعهم بأن ما لا يليق بجلاله تعالى غير مراد وتنزيهه عن الحركة والانتقال، وقسم من العلماء قالوا المراد بالنزول نزول المَلَكِ بأمر الله لأنك تقول قطع الأمير يد اللص ولا يكون الأمير بنفسه قد أمسك السكين وجزَّ المكان إنما المعنى أن يد اللص قُطعت بأمر الأمير، فتقول قطع الأمير يد اللص وبنى الأمير بيتا

(1) سورة القيامة، الآية (18).

وقد لا يكون حمل حجرا واحدا فيه إنما معناه بُـني بأمره، كذلك ينـزل ربنـا أي ينـزل الملك بأمر ربنا.اهـ

قال الإمام القرطبي في تفسيره "**الجامع**" عند قوله تعالى ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾[1] وخص السحَر بالذِّكر لأنه مظان القبول ووقت إجابة الدعاء ــ إلى أن قال ــ قلت أصح من هذا ما روى الأئمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **[ينـزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر]** وفي رواية **[حتى ينفجر الفجر]** لفظ مسلم.

وقد اختلف في تأويله وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **[إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى]** صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن الأول من باب حذف المضاف أي ينـزل مَلك ربنا فيقول. وقد روي: يُـنْـزِل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا، وبالله توفيقنا وقد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.اهـ

وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي ركن الحنابلة في "**دفع شبه التشبيه**" ما نصه: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **[ينـزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له..]** قلت وقد روى حديث النـزول عشرون صحابيا وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير فيبقى الناس رجلين:ــ

---

(1) سورة ءال عمران، الآية (17).

أحـــدهما: المتأول له بمعنى أنه يقرب رحمته، وقد ذكر أشياء بالنـــزول فقال تعالى ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** ﴾[1] وإن كان معدنه بالأرض، وقال ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُـــم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾[2] ومن لم يعرف كيف نزول الجَمَل كيـــف يـــتكلم فـــي تفصيل هذه الجُمَل.

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك، روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنـــس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: **أمروا هذه الأحاديث بـــلا كيـــف.** قلـــت: وواجب على الخلق اعتقاد التـــنـــزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النـــزول الذي هـــو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالي وهو مكـــان الـــساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعا. فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنـــزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلالـــه لا يلزمـــك التفتيش عنه، فإن قال كيف حدّث بما لا أفهمه؟ قلنا قد علمت أن النازل إليك قريـــب منك فاقتنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام.

قال ابن حامد ــ المجسم ــ هو على العرش بذاته مماس له وينـــزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي ــ المجسم ــ النـــزول صفة ذاتية ولا نقول نـــــزوله انتقـــال، قلـــت وهـــذه مغالطة ومنهم من قال يتحرك إذا نزل ولا يدري أن الحركة لا تجوز علـــى الخالق. وقد حكوا عن أحمد ذلك وهو كذب عليه ولو كان النـــزول صفة ذاتية لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة.اهـــ

وقد قال الامام مالك كما في "**السير**" و"**التمهيد**": **يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول.** انتهى، وهو صريح بنفي النقلة والحركة عن الله ســـبحانه، وأن صفاته لا تتغير ولا تتبدل، وهو كما قال الحافظ ابن حبان في صـــحيحه (2-136):

---

(1) سورة الحديد، الآية (25).

(2) سورة الزمر، الآية (6).

بعد ذكره حديث النزول، " **ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكـــان**". انتهى.

وقال الحافظ البيهقي: والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريـــق الحركة والانتقال من حال إلى حال انتهى. قلت وهذا كلام المحققين من أهل السنة، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة.

قال شهاب الدين بن جهبل فيما نقله الحافظ السبكي ما نصه: أما التقـــديس فهـــو أن يعتقدَ في كل ءاية أو خبر معنى يليق بجلال الله تعالى، مثال ذلك إذا سمع قولهَ صلى الله عليه وسلم **[ينـــزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا]** وكان النـــزول يُطلقُ علـــى ما يفتقر إلى جسم عال وجسم سافل وجسم منتقل من العالي إلى السافل، والنـــزول: انتقال جسم من علو إلى سفل، ويطلق على معنى ءاخر لا يفتقـــر إلـــى انتقـــال ولا حركة جسم، كما قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾[1] مع أن النَّعم لم تتـــزل من السماء بل هي مخلوقة في الأرحام قطعا فالنـــزول لـــه معنى غيـــر حركة الجسم لا محالة.

وفُهم ذلك من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: " **دخلت مِصر فلم يفهموا كلامي فنـــزلت ثم نزلت ثم نـــزلـــت** " ولم يُرد حينئذ الانـــتـــقال من علـــو إلـــى ســـفل. فليتحقق السامع أن النـــزول ليس بالمعنى الأول في حق الله تعالى فإن الجسم علـــى الله محال. ومن كان لا يَفهم من النـــزول إلا الانتقال فيقال لـــه: مَن عجزَ عن فهم نُـــزول البعير فهو عن فهم نزول الله أعجز. فاعلم أن لهذا معنى يليق بجلاله.اهـــ

قال الإمام الرازي في "**أساس التقديس**" في علم الكلام ما نصه: الفصل التاسع فـــي المجئ والنـــزول: احتجوا بقوله تعالى ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾[2] وبقوله ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾ واحتجوا بالأخبار الواردة فمنها ما رواه صاحب شرح السنة رحمه الله في باب إحياء ءاخر الليل وفضله عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله

---

(1) سورة الزمر، الآية (6).

(2) سورة البقرة، الآية (210).

عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **[ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنـــزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده]**، ثـــم قال **[إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير ينـــزل إلى هـــذه الـــسماء الدنيا فينادي هل من مـــذنـــب يتوب هل من مستغفر هل من داع هل من سائل إلى الفجر]** قال صاحب هذا الكتاب هذا حديث متفق على صحته، وفي هذا الباب أيضا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **[ينـــزل ربنا كل ليلة إلى ســـماء الدنيا...]** الحديث. واعلم أن الكلام في قوله ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾ من وجهين:ـــ

الأول: أن نبين بالدلائل القاهرة أنه سبحانه وتعالى منـــزه عن المجيء والذهاب.

والثـــاني: أن نذكر التأويلات في هذه الآيات. أما النوع الأول فنقول: الذي يدل على امتناع المجئ والذهاب على الله تعالى وجوه:ـ

الأول: ما ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب فإنه لا ينفك عن المحدث وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث فيلزم أن كل مـــا يـــصح عليـــه المجيء والذهاب وجب أن يكون محدثا مخلوقا فالإله القديم يستحيل أن يكون كذلك.

والثاني: أن كل ما يصح عليه الانـــتـــقال من مكان إلى مكان فهو محـــدود متنـــاه فيكون مختصا بمقدار معين مع أنه كان يجوز في العقل وقوعه على مقدار أزيد منه أو أنقص منه فحينئذ يكـــون اختصاصه بذلك المقدار لأجل تخـــصيص مخـــصص وترجيح مرجح وذلك على الإله القديم محال.

والثالث: وهـــو أنا لو جوزنا فيما يصح عليه المجيء والذهاب أن يكون إلها قـــديما أزليا فحينئذ لا يمكننا أن نحكم بنفي إلهية الشمس والقمر.

والرابع: أنه تعالى حكى عن الخليل عليه السلام أنه طعن في إلهية الكواكب والقمر والشمس بقوله ﴿ **لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾[1] ولا معنى للأفول إلا الغيبة والحضور، فمـــن جوز الغيبة والحضور على الإله تعالى فقد طعن في دليل الخليل وكذب الله تعـــالى

(1) سورة الأنعام، الآية (76).

في تصديق الخليل في ذلك حيث قال ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** ﴾[1].

وأما النوع الثاني في بيان التأويلات المذكورة في هذه الآية فنقول فيه وجهان:ـ

الأول: المراد هل ينظرون إلا أن يأتيهم ءايات الله فجعل مجئ ءايات الله مجيئا له على التفخيم لشأن الآيات كما يقال جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته.

الوجه الثاني: أن يكون المراد هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب أنه تعالى إذا أضاف فعلا إلى شئ فإن كان ظاهر تلك الإضافة ممتنعا فالواجب صرف ذلك الظاهر إلى التأويل كما قال العلماء في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ** ﴾[2]المراد يحادون أولياءه. وقد قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[3] والمراد أهل القرية، فكذا قوله تعالى ﴿ **يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾[4] أي يأتيهم أمر الله وليس فيه إلا حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وذلك مجاز مشهور يقال ضرب الأمير فلانا وأعطاه والمراد أنه أمر بذلك والذي يؤكد صحة هذا التأويل وجهان:ـ

<u>الأول</u>: أن قوله تعالى ﴿ **يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾ وقوله ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ** ﴾ إخبار عن حال القيامة ثم إن الله تعالى ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ** ﴾[5] فصار هذا مفسرا لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على البعض.

<u>والثاني</u>: أنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿ **وَقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾ ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق وهذا يستدعي أن يكون قد جرى ذكره من قبل ذلك حتى يكون الألف واللام إشارة إليه وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله ﴿ **يَأْتِيَهُمُ اللّه** ﴾ أي يأتي أمر الله.

---

(1) سورة الأنعام، الآية (83).

(2) سورة المجادلة، الآية (5).

(3) سورة يوسف، الآية (82).

(4) سورة البقرة، الآية (210).

(5) سورة النحل، الآية (33).

فأما الحديث المشتمل على النـــزول إلى السماء الدنيا فالكلام عليه من وجهين:ـــ

الأول: بيان أن النـــزول قد يستعمل في غير الانتقال وتقريره من وجوه:ـــ

أحدها: قوله تعالى ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾[1] ونحن نعلم بالضرورة أن الجمل والبقر ما نزل من السماء إلى الأرض على سبيل الانتقال، وقال الله تعالى: ﴿ **فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ** ﴾[2] والانتقال على السكينة محال. وقال الله تعالى ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ** ﴾[3] والقرءان سواء قلنا إنه عبارة عن صـــفة قديمة أو قلنا إنه عبارة عن الحروف والصوت والانتقال عليه محال. وقال الشافعي المطلبي رضي الله عنه: "**دخلت مصر فلم يفهموا كلامي فنـــزلت ثم نزلت**" ولم يكن المراد من هذا النزول الانتقال.

الثاني: أنه إن كان المقصود من النـــزول من العرش إلى السماء الـــدنيا أن يُـــسْمَعَ نداؤه فهذا المقصود ما حصل وإن كان المقصود مجرد النداء سواء ســـمعناه أو لـــم نسمعه فهذا مما لا حاجة فيه إلى النـــزول من العرش إلى السماء الدنيا بـــل كـــان يمكنه أن ينادينا وهو على العرش، ومثاله أن يريد مَنْ في الشرق إسماع مَـــنْ فـــي الغرب ومناداته فيتقدم إلى جهة المغرب بأقدام معدودة ثم يناديه وهو يعلـــم أنـــه لا يسمعه البتـــة فههنا تكون تلك الخطوات عملا باطلا وعبثا فاســـدا فيكـــون كفعـــل المجانين فعلمنا أن ذلك غير لائق بحكمة الله تعالى.

الثالث: أن القوم رأوا أن كل سماء في مقابلة السماء التي فوقها كقطرة فـــي بحـــر وكدرهم في مفازة ثم كل السموات في مقابلة الكرسي كقطرة في البحر والكرسي في مقابلة العرش كذلك ثم يقولون إن العرش مملوء منه والكرسي موضع قدمه فإذا نزل إلى السماء الدنيا وهي في غاية الصغر بالنسبة إلى ذلك الجسم العظيم فإما أن يقـــال إن أجزاء ذلك الجسم العظيم يدخـــل بعضـــها في بعض وذلك يوجب القول بأن تلك الأجزاء قابلة للتـــفرق والتمزق ويوجـــب القول أيضا بتداخل الأجزاء بعضها فـــي

---

(1) سورة الزمر، الآية (6).

(2) سورة الفتح، الآية (26).

(3) سورة اشعراء، الآيتان (193،194).

بعض وذلك يقتضي جواز تداخل جملة العالم في خردلة واحدة وهو محال وإما أن يقال إن تلك الأجزاء بليت عند النزول إلى السماء الدنيا وذلك قول بأنه قابل للعدم والوجود وذلك مما لا يقوله عاقل في صفة الإله تعالى فيثبت بهذا البرهان القاهر أن القول بالنزول على الوجه الذي قالوه باطل.

الرابع: أنا قد دللنا على أن العالم كرة فإذا كان كذلك وجب القطع بأنه أبداً يكون الحاصل في أحد نصفي الأرض هو الليل، وفي النصف الآخر هو النهار، فإذا وجب نزوله إلى السماء الدنيا في الليل، وقد دللنا على أن الليل حاصل أبداً فهذا يقتضي أن يبقى أبداً في السماء الدنيا إلا أنه يستدير على ظهر الفلك بحسب استدارة الفلك وبحسب انتقال الليل من جانب من الأرض إلى جانب ءاخر، ولو جاز أن يكون الشئ المستدير مع الفلك أبداً إلهاً للعالم فلم لا يجوز أن يكون إله العالم هو الفلك ومعلوم أن ذلك لا يقوله عاقل.

<u>النوع الثاني</u>: من الكلام في هذا الحديث بناؤه على التأويل على سبيل التفصيل، وهو أن يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض في ذلك الوقت والسبب في تخصيص ذلك الوقت بهذا الفعل وجوه:ــ

الأول: أن التوبة التي يؤتى بها في قلب الليل الظاهر أنها تكون خالية عن شوائب الدنيا لأن الأغيار لا يطلعون عليها فتكون أقرب إلى القبول.

والثاني: أن الغالب على الإنسان في قلب الليل الكسل والنوم والبطالة فلولا الجد العظيم في طلب الدين والرغبة الشديدة في تحققه لما تحمل مشاق السهر ولما أعرض عن اللذات الجسمانية، ومتى كان الجد والرغبة والإخلاص أتم وأكمل كان الثواب أوفر.

الثالث: أن الليل وقت الكسل والفتور فاحتيج في الترغيب في الاشتغال بالعبادة في الليل إلى مزيد أمور تؤثر في تحريك دواعي الاشتغال والتهجد، فيحسن أن الشارع يخص هذا الوقت بمثل هذا الكلام ليكون توفر الدواعي على التهجد أتم فهذه الجهات الثلاث تصلح أن تكون سبباً لتخصيص الشارع هذا الوقت بهذا التشريف ولأجلها

قال الله تعالى ﴿ **وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون** ﴾[1]، وقال ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾[2].

الوجه الرابع: إن جمعا من أشراف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله تعالى فأضيف ذلك إلى الله تعالى لأنه حصل بسبب أمر الله تعالى كما يقال: بنى الأمير داراً وضرب ديناراً. وممن ذهب إلى هذا التأويل من يروي الخبر بضم الياء تحقيقاً لهذا المعنى.

واعلم أن تمام التقرير في تأويل هذا الخبر أن من نزل من الملوك عند إنسان لإصلاح شأنه والاهتمام بأمره فإنه يكرمه جداً بل يكون نزوله عنده مبالغة في إكرامه فلما كان النزول موجباً للإكرام أطلق اسم النزول على الإكرام، وهذا أيضاً هو المراد بقوله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[3] وذلك أن الملك إذا جاء وحضر لفصل الخصومات عظم وقعه واشتدت هيبته والله أعلم.اهـ

وقال البدر العيني الحنفي في " **عمدة القارى شرح صحيح البخاري** " ما نصه: إذا أضيف المجيء والإتيان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره يحمل على ذلك، وإذا أضيف إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى.

فالنزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة: بمعنى الانتقال كما في قوله تعالى ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا** ﴾[4]. وبمعنى الإعلام نحو قوله تعالى ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴾[5] أي أعلم به الروح الأمين محمدا صلى الله عليه وسلم. وبمعنى القول نحو ﴿ **سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللهُ** ﴾[6] أي سأقول مثل ما قال. وبمعنى الإقبال على الشئ وبمعنى نزول الحكم وذلك كله متعارف عند أهل اللغة، وإذا

---

(1) سورة الذاريات، الآية (18).
(2) سورة ءال عمران، الآية (17).
(3) سورة الفجر، الآية (22).
(4) سورة الفرقان، الآية (48).
(5) سورة اشعراء، الآية (193).
(6) سورة الأنعام، الآية (93).

كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب جل جلاله من النزول على ما يليق به من هذه المعاني وهو إقباله على أهل الأرض بالرحمة.اهـ قلت وبه فسره حماد بن زيد نزوله إقباله، وهو موافق للغة العرب .

وقال ابن منظورفي " **لسان العرب** " في مادة " **نَزَلَ** " عند ذكره حديث النزول ما نصه: وفي الحديث [إن الله – تعالى وتقدس– ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا] النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة إلى الله عز وجل وافرة وذلك مظنة القبول والإجابة.اهـ

وفي كتاب " **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** " للحافظ ابن حبان بتريب الأمير علاء الدين بن بلبان ما نصه: كذلك ينزل بلا ءالة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر أيضا في " **الفتح** ": والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بالمعنى ينزل أمره أو المَلَك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.اهـ

وقال الشيخ شهاب الدين القسطلاني في " **إرشاد الساري شرح صحيح البخاري** " ما نصه: قوله **[ينزل ربنا]** تبارك وتعالى نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين فقراء مستضعفين لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي. نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعا إلى أفعاله لا إلى ذاته بل هو عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه. قال الزركشي لكن روى ابن حبان في صحيحه **[ينزل الله إلى السماء فيقول لا يسأل عن عبادي غيري]** وأجاب عنه في "**المصابيح**" بأنه لا يلزم من إنزاله المَلَكِ أن يسأله عما صنع العباد

ويجوز أن يكون المَلَكُ مأمورا بالمنادة ولا يسأل البتة عما كان بعدها فهو سبحانه وتعالى أعلم بما كان وبما يكون لا تخفى عليه خافية، وقوله جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه وهو قوله **[كل ليلة إلى سماء الدنيا]** لأنه لما أسند ما لا يليق إسناده بالحقيقة أتى بما يدل على التنزيه حين يبقى ثلث الليل الآخر منه بالرفع صفة وتخصيصه بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة إلى الله تعالى وافرة وذلك مظنة القبول والإجابة.اهـ

ونقل الحافظ ابن حجر في " **الفتح** " عن البيضاوي ما نصه: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة.اهـ

وفي شرح " **الشفا** " للشيخ ملا علي القاري الحنفي ما نصه: ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه المحتاجة إلى التأويل المقتضي للتنزيه والمشكلة المعنى المبنية على استعارة في المبنى كحديث البخاري وغيره **[ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له]** فإن نزوله سبحانه وتعالى كناية عن تنزلات رحمته وموجبات إجابة دعوته وأسباب مغفرته، أو يقال إنه سبحانه وتعالى له نزول يليق بشأنه مع اعتقاد التنزيه له عن انتقال وتغير ووجود مكان وزمان في ذاته، وكذا الحكم في الآيات المتشابهات وسائر الأحاديث المشكلات فللسلف والخلف مذهبان فالمتقدمون على التسليم والتوكيل ومنهم أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل والمتأخرون على التأويل **والكل قائلون بالتنزيه ومانعون عن التشبيه**.اهـ

خاتمة

واعلم اني أحيانا أكرر بعض النقول في كتابي هذا والسبب في ذلك رسوخ القول في ذهن القارئ لبيان حاجته للنظر فيه مرة أخرى ولمعرفة نقول وأنقال كبار العلمـــاء ليكون الكلام قاطعا وفصل الخطاب وبيان اعتقادهم وبالله التوفيق.

كتبه خادم العلم والعلماء محمود منصور، أبو علي المعروف بـــ" الداني ".

والحمد لله أولا وآخرا.